

## .. مأساة طبيب عظيم ..

رحل عن عالمنا أحد علمائنا الجهابذة الأجلاء، وعندما يختطف الموت عالم من العلماء فإن السماء تبكى عليه قبل أن يضمه الثرى إليه.  
لا جَرَم - إذن - أن اتفق العلماء على أن قبض العلم هو أحد علامات الساعة الصغرى!

يقول الحديث الشريف: «يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج».

كما يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يقبض العلم إنتزاعاً بنزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلو وأضلوا».

قال النووي: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالتهم فيضلون ويضلون.  
في مأساة أشبه بالمآسى التى وردت فى أدب الإغريق، هى كالليالى الدهم، والعشايا الجهم، رحل عن عالمنا الأستاذ الدكتور العالم الجليل «فؤاد ثاقب» الذى عرفته منذ نيفٍ وعشرين عاماً، وهو لما يزل بعد فى شرح شبابه وفى أوج عطائه.

كان يعود ابن عمى وزوج شقيقتى المهندس «محمد عبد الله بركات» وكيل وزارة الإسكان، الذى تليف الكبد منه وأصابه فى مقتل حتى أوشك على الرحيل وهو فى ربيع عمره.. وإذا بالمرحوم الشهيد «فؤاد ثاقب»، بفيض علمه، وعميق فكره ينهض على علاجه بصبر وأناة، وبصر وبصيرة، حتى عادت نضرة الوجه إليه. وقد كانت مستعصية عليه. وزكا منه العود الذى كان قد أضمحل.. وتأبى عليه أن يعود!

كنت أرى فى الدكتور «فؤاد ثاقب» النطاسى البارع، وقدرت علمه وبادلنى تقديراً بتقدير.. وكان رحمة الله عليه، كلما يرى بثاقب فكره، القلق يعثورنى على زوج شقيقتى والهلع والحزن ينتابنى. ييرتسم على وجهه النبيل ابتسامة طيبة.. ثم يردف قائلاً لى: «أنت رجل عظيم.. ياليت لى قريب مثلك». قالها لى وهو الرجل العظيم فى علمه، وفى خلقه وفى وفائه للناس أجمعين.

ولقد نشرت جريدة الأهرام مأساة رحيل العالم الجليل بهبوطه المفاجئ من المصعد وهو  
ينقذ شقيقتيه من مغبة السقوط منه ، وذكر - كاتب التحقيق - أن السيدة البارة زوجته  
هُرعت إلى مكان الحادث ، وهي تذرف الدمع السخين ، تجأ بصوتها الذي يعلوه الأنين :  
«أنتم لا تعرفون فؤادا»! .. ونقول - صبرا جميلا - أيتها الزوجة الوفية «فإنا لله وإنا إليه  
راجعون».

نحن جميعا نعرف فؤادا.. متألقا في فكره.. متعمقا في علمه.. كريما في عطائه.



## بل.. عندما تصبح القضية.. امرأة.. !!

أحسن الصديق المستشار مصطفى الكومى فى مقاله القيم المنشور فى هذه الصفحة الغراء بتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٨ بعنوان «عندما تصبح المرأة».. قضية؟!.. والذى نعى فيه على المرأة المصرية انشغالها بأمور لا تغنى ولا تسمن من جوع وإغلاقها لمدرستها (مدرسة الأمومة)، وتركها لأولادها (حتى شد منهم الدين، وضاع اليقين)، وها هى ذى أخيرا وليس أخرا - تجهد الرأى العام، وتشغل نفسها بالمطالبة بتوسيدها كرسى القضاء.

ولو سمح لنا الزميل الأديب أن نقدم كلمة (قضية)، مضافا إليها الألف واللام، وأن تؤخر كلمة (امرأة)، فما بين (تقديم)، و(تأخير) تبزغ الحقيقة واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض، فى هذا الزمن الردئ العضوض؟!.. فلقد أصبحت (القضية) بالفعل فى بلادنا، قولا وعملا.. امرأة؟!.

والذى لا مرية فيه، أن المرأة المصرية ومنذ أن هبط عليها كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين فى بداية هذا القرن، وهى تعتقد أن لها حقوقا قد ألف بخصوصها كتاب وأن هاتيك الحقوق لما تزل فى حاجة إلى المزيد من الكلمات، وأن يكتب فيها المجلدات؟!.. ولقد أصبح الناس - فى مصر - وأمساوا خلال شهور طوال ولا شغل لهم إلا أحقية المرأة فى تولى منصب القضاء الذى أحجم عنه الثقات من الفقهاء، والزمرة من العلماء، تحرزا من الخطأ - حتى اليسير منه - فيما لو أصبحوا قضاة خشية، وخوفا من عقاب الله، وفى سبيل هذه الطلبة، وتلك الرغبة، انشغلت الدولة كلها، وأجهزتها جميعها بهذا الأمر، الذى ملأت به المرأة من الصحف الأنهار، وهى تصيح ليل نهار، وعبر الإذاعة السموعة والمرئية وعن طريق المحافل والندوات، وعقد المناظرات، وبصوت قوى جهورى. تجأرى، أريد أن أكون قاضية، (وأريد حلاً)، لما أبغيه، وأطمح إليه، وأطمع فيه، ومع يقينى (بأن طالب الولاية لا يولى)، فأنا من حقى القضاء فهل تمنحوا لى هذا الحق، يجب أن ترهفوا أسماعكم لهذا النداء، فهو الرجاء ولا شئى دونه على البال، فقد أصبح وأضحى، هو السؤال؟!.

ولقد تساءل الزميل المفضل: لماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا لا تطالب مثلا - بأن تعمل عمدة، أو شيخ البلد،

أو شيخ خفراء.. أو فى المناجم والمحاجر وأعمال البناء؟. ونقول له : هذا هو دأبها، فكل ممنوع لديها مرغوب، ومطلوب؟! .

وإذ هدأت اللجة، وخمدت الضجة، بعد أن هدأ خاطرها، الكبار، واستماحها العذر، الصغار، حتى عادت عقيرتها ترتفع مرة أخرى مطالبية، وكما نشرت الصحف (بحقها) فى السفر والترحال، وشد الرحال، دون إذن من زوجها، أو من غيره من الرجال؟! . ناهيك عن (حقها) كذلك فى أن تكون العصمة ملك يديها، وأن تُؤجر وتُعوض إذا ما أقدم الرجل على طلاقها دون رغبتها .. ولعلها أضافت، والخروج أيضا بدون إذن؟! .

والذى لإلجاج فيه أن قانون الأحوال الشخصية (المعدل) الجديد قد منحها مالم يكن فى حسابها، أو يرد على ذهنها؟! ، ولو عاش (أشلى مونتاجو) الذى قال ذات يوم بعيد: إن (المرأة أكثر عبقرية من الرجل) لتأكد مع إعتراض الجميع على ما ذهب إليه : من صدق قولته، وصحة نبوءته، مما حصلت المرأة المصرية، وتحصلت عليه؟! .. وقد يرى بعض الغيارى من الرجال أن حقوقهم بدأت تقل وتضؤل بالمقارنة بما حصلت عليه المرأة المصرية من حقوق، فيقدموا على تكوين (جمعية) للمطالبة بحقوقهم، ورد اعتبارهم، وبهذا يكون الميزان قد اعتدل، بعد أن أصابه الخلل؟! .

وباليت المرأة المصرية تقرأ وتستقرئ قولة (نابليون بونابرت): إن المرأة التى تهز المهدي بيمينها، تهز العالم ببسارها وأيضا قولته: على المرأة أن تعلم أن الشئ الوحيد الذى (تبدعه) .. هو طفلها؟.



## تاريخنا.. هل يكتب من جديد!؟

التاريخ هو عرض الإنسانية «فتاريخ الأمم والشعوب هو الصفحة الباقية لها على مر الأزمان والعصور»! كلما تذكرت هذه العبارة التي قالها الفيلسوف (شوبنهاور) كلما أمنت بأن تاريخنا العربي برمته يجب أن يكتب من جديد فالذى لا مرء فيه أن هذا التاريخ قد زيف المزيفون فى الماضى الكثير من حقائقه ووقائعه حتى التبس الأمر على أبناء هذا الجيل، بل والأجيال التى سبقته أيضا. فلم يعد الكثيرون يعرفون الصالح من الطالح، والمخلص من الخائن، والصدىق من العدو! وما هو ذا تاريخ الماليك فى مصر يختلف فيه المؤرخون اختلافا بينا، فمنهم من قال إن عصر الماليك هو أزهى عصور مصر، والبعض الآخر ارتأى فيه أسوء العصور، وإنه كان عصر تردت فيه مصر إلى أسفل سافلين، وكذلك تاريخ الثورة العربية فقد تباين فيه الكثيرون تباينا جعل تاريخ هذه الثورة المجيدة يتلبس أمره على كل من قرأ هذا التاريخ.

فعرابى مرة هو مفجر أول ثورة فى عصر مصر الحديث.. ومرة أخرى هو الجاهل الجهول الذى قذف بمصر إلى أتون الجحيم حتى أن أمير الشعراء أحمد شوقى هاجمه بضراوة إذ قال فيه، بعد عودته من المنفى:

صغير فى الذهاب وفى الإياب أهذا كل شأنك يا عرابى؟

والزعيم مصطفى كامل لم يخل الأمر معه من مثل هذا، فهو الذى أراد أن تكون مصر تابعة لتركيا وأن هذه التبعية تفقد مصر - لو تمت - استقلالها وحريتها. ولم يخل تاريخ ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩، ولا سيما زعيمها سعد زغلول، حتى إن ميثاق العمل الوطنى الذى وضع أيام الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» قد اتهم سعد (أنه ركب قمة الموجة الثورية يقود النضال الوطنى الذى لم يهن ولم يضعف) أى أن واضع الميثاق قد نزع بهذه المثابة الزعامة عن سعد زغلول، وجعل منه قائدا انتهازيا لم يكن منه إلا أن امتطى موجة هذه الثورة الخالدة.

وكذلك تاريخ «مصطفى النحاس» هذا الزعيم الأمين الذى بذل حياته فى سبيل توطيد ركائز الديمقراطية على أرض مصر، وكانت زعامته للوفد زعامة خالصة لأجل الله والوطن.

والرئيس «محمد نجيب» هذا الزعيم الوطنى الذى التف شعب مصر حوله وطوقه بمحبة عارمة، فقد شوه تاريخه، ويكفى أن دوره فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد محى محوا من كتب التاريخ إلى حين قريب.

وجاء الزعيم «جمال عبد الناصر» فلم ينج هو الآخر من بعض التلفيقات التى وجهت إلى زعامته بينما أن مآثره على مصر لا ينكرها إلا جاحد مهما كانت الأخطاء التى وقع فيها. أما الزعيم «محمد أنور السادات» الذى بذل حياته فى سبيل وطنه فقد استشهد على يد طغمة فاغتالته غيلة وغدرا بعد أن قاد حرب أكتوبر المجيدة، وكانت له اليد الطولى فى إجلاء المحتل الإسرائيلى من بقعة عزيزة على مصر هى أرض سيناء.

وإذا كان تاريخ أية أمة لا يخلو. كما قال (نابليون) من الأكاذيب. فتاريخنا العربى يمتلئ بما - لا عد له ولا حصر من الزيف والأباطيل ناهيك عن الأوهام التى لا أساس لها؟!.

ماذا إذن لو قامت الدولة بتشكيل لجنة خاصة من علمائنا الثقات، تتولى كتابة تاريخنا كتابة صادقة أمينة، تزيل الغشاوة من على الأعين، وتمسح عن جبين أمتنا تاريخا لا يمت إلى العلم أو الواقع بأدنى صلة من الصلات ..؟!.



## تراجُع اللغة العربية.. تراجُع للنصرة القومية؟! «رسالة إلى وزير التعليم»

كم عز أقوام بعز لغات!.

آبدة من الأوابد التي تذهب في أسمع الزمن مذهب الخلود! .  
فقد علت إنجلترا بكلمات. دكنز. وكارليل. ومؤلفات شكسبير.  
وارتفعت فرنسا بتوليف. راسين. وفولتير. وموليير، وسمقت ألمانيا بليبننتس. وجيته.  
وشيللر، وسمت روسيا بتولستوى. وجوجل. ومكسيم.  
وعزت مصر، والأمة العربية. بالقرآن الكريم. ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة طه  
- الآية ١١٣] (صدق الله العظيم).

واللغة العربية هي لغة الضاد. اللغة الشاعرة، كما أطلق عليها أستاذنا العقاد، وأفرد لها كتابا، إذا تقرأه تراه إنسانا، وهي اللغة الضاربة في القدم. الموغلة في العراقة طوال خمسة عشر قرنا. خلقت لغات سادت، ثم بادت. والعربية هي العربية لم تمح، ولم تتغير. أو تتبدل. فقد حوت على أدب لا تحويه لغة أخرى، كما عبر رجل الفكر والسياسة الدكتور عبد الوهاب عزام، أدبا، موطنًا ما بين الصين وبحر الظلمات، ولم يعرف في آداب العالم. قديمها. وحديثها، أدبا اتسعت به المواطن، هذا الاتساع، وامتدت به الأعصار هذا الامتداد، ثم هل عرف العالم أدبا أعظم من أدب العرب سعة رقعة، وطول مدة وجمالا وجلالاً؟، وفي الأدب العربي سير رجف بها الزمان، وأقر بها الحدثان.

لا جرم - إذن - سادت اللغة العربية، وتحدث بشأنها الثقلان، الإنس والجان، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ. وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الجن - الآيات ١ - ٢]  
واللغة أى لغة، هي وعاء الفكر، وإن شئت قل هي الفكر وهي الذكر، وهي ذاكرة الأمة، وشاحذة الهمة، وهي الوشيحة بين الماضى والحاضر، وهي قوام الشخصية، وتراث الإنسانية.. ثم هي كما عبر الناقد الفرنسي «بوفون» هي المرء ذاته، ومن نافلة القول أن نقول إن قصيدة عظيمة، أو رواية جيدة يكتبها أديب، أكثر إفادة وأوفى دلالة من حشد من المؤرخين بأكداس كتبهم التاريخية، وأين خمسون مجلدا من الوثائق ومائة مجلد من

الوثائق، كما تساءل سائل، في مقابل مذكرات تشيللي، ورسائل القديس بولس، أو ملهيات أو يستوفان؟. بل أين الملوك والأباطرة بجانب أسماء الغزالي والجاحظ والأصفهاني؟. وقد صدق من قال «أديب واحد» خير من «ألف صيدلي»!.

وقد استمرت اللغة العربية لغة للتعليم العالى فى مصر منذ عصر محمد على إلى أن أناخ الإنجليز على مصر بكلكلهم عام ١٨٨٢ إذ بدأت عملية تحول كبرى، أشبه بتحويل مجرى النيل، بإحلال اللغة الإنجليزية، محل اللغة العربية، بادئين بأهم مدرسة، من المدارس آنذاك، وهى مدرسة الطب بعد مضى أقل من خمس سنوات على بدء الاحتلال للبلاد، (قسرا) على العباد.

وبدأ الليل يرخى سدوله، على هذه اللغة العظيمة، وما بين تفاؤل وتشاؤم، عبر عن الأول شاعر النيل حافظ إبراهيم، إذا رثاها بأبيات، تنزف الحشرات قال فيها:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي      وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي  
وَلَدْتُ وَلِمَا لَمْ أَجِدْ لِعِرَاسِي      رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي  
أَيْطِرُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبٌ      يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي  
سَرَتْ لَوْثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى      لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فِرَاتِ  
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ صَمٌّ سَبْعِينَ رُقْعَةً      مَشْكَلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ

وجاء خليل مطران بمثل الاتجاه الثانى إذ فى ندوة تكبكب حولها الغيورون على هذه اللغة. تنبأ جبران بأن اللغة العربية سوف تنهض من كبوتها وتصحو من رقدتها وتكون هى الموحد للميول السياسية والمنازع اللغوية وتلم شعت النزاعات العربية.

وخلال النصف الأول من هذا القرن الذى أوشكت شمس على المغيب، قيض الله للغة العربية، عمالقه. أفذاذا من محبى اللغة العربية وروادها علت بهم وعلوا بها، ورفعتهم وارتفعوا بها، أمثال عباس محمود العقاد، وطه حسين، وزكى مبارك، وميخائيل نعمة، وإيليا أبو ماضى، وأحمد حسن الزيات، وعلى الجارم، ومحمد فريد أبو حديد.

كتبوا وأجادوا وأبدعوا وأفادوا، وامتازوا بأسلوب عربى قويم مستقيم. أفصح تماما على قدرة هذه اللغة واستيعابها لكافة اللغات.

والآن وقد تراجعت اللغة العربية تراجعا بينا. بين كتابنا وعلى ألسنتنا واللغة العربية (بنت المشافهة)، وفى مدارسنا وجامعاتنا. وحل محلها لغة لا هى عربية، ولاهى عامية، بل هى خليط من هذا وذاك حتى أمسى الخطر يطبق على لغة الضاد، من كل حذب

وصوب، وباتت اللغة العربية، تعيش بين أبنائها وأهلها وذويها فى أيام جهم. وعشايا  
دهم. بسبب غياب غيرة الموجهين لها، والقائمين عليها، وكادت أن تصبح هذه اللغة  
العظيمة، اللغة الثانية فى بلادنا، مما جعلها تعود القهقرى مرة أخرى تاركة المجال لكل  
من هب ودب لكى يبعث بها وبتراثها.

وإننا ندق ناقوس الخطر لكل عاشق لهذه اللغة، ولكل أمين عليها. من مغبة هذا  
التراجع. وباليتمنا نعود. إلى إقامة الندوات والمنتديات اللغوية من أجل الحوار الأدبى  
والحوار اللغوى ويجب أن يسبق ذاك حفظ القرآن الكريم بمناهج مقرررة على تلاميذ المرحلة  
الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة وجعل الدين مادة أساسية فيها، رسوب ونجاح،  
ولها ثواب وعقاب، مع إعداد مدرس اللغة العربية إعدادا تربويا، حيث إن مدرس اللغة  
العربية ينهض على تدريسها دون أن يكون مؤهلا لذلك، وذلك كله مع تبسيط قواعد  
النحو وخاصة فى المراحل الأولى، والبعد عن الخلافات اللغوية، والنحوية. مع رفع درجة  
النجاح فى اللغة العربية. اللغة القومية التى إن هى تراجعت فقد تراجعت النعمة القومية.  
وضاعت النعمة الوطنية للبلاد.

فأما حياة تبعث الميت فى البلى      وتذبت فى تلك الرموس رفاتى  
وإما ممات لا قيامة بعده      ممات لعمرى لم يقس بممات

فهل نكرم أنفسنا.. ونحذب عليها من خلال حذبنا على لغتنا.. (الجميلة). ونصونها.  
من الضياع والهوان.. قبل الأوان؟.



## رؤيتي للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١.. والمأمول منها..

من - مذكراتي الشخصية - والتي أدب دوما على أن أسجلها على صفحات أحتفظ بها منذ سن باكر في حياتي أعود إليها وأستخرج منها ما خطه يراعى عن ثورة ٢٥ من يناير ٢٠١١.. أراني قد كتبت: لم أكن أحسب - وكذلك غيرى - أن مصر تموج بهذا الكم والكيف من الفساد والإفساد؟

وكان لابد من قارعة!.. قارعة تخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت وأصاب مصر بالقنوط. كان شكسبير يقول: «أخذت كرامتي أخذت كل شيء».

وبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاما حكم مصر بقبضة من حديد.. قويض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله إيمانا فانتمزعا كرامة مصر من برائن وحوش ضاربة أرادوا ابتلاعها، ومن أيدي طغاة متجبرين لم «يخافوا» ظلما ولا «هضما» وكانت تجارتهم الرابحة في سوق الحكم وسوق الاستغلال عملتها من المال وبضاعتها - ومن أسف - من الرجال.. استبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة وبزغت ثورة الشباب فنزعت أستارهم وكشفت خبيثتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحييت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتم.. وياله من قدر؟!.

أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدتها عزيزة الجانب وضاءة الجبين وستظل إن شاء الله كذلك بعد أن عاشت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعقه الموت المبيد بعدما روع الناس بالفتك والبطش العنيد.

لم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير كغيرها من الثورات فلم تكن على غرار ثورات الشباب التى هبت رياحها على أوروبا وأمريكا ولم تكن كثورة فرنسا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء ضحاياها.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثأروا من أجل تحرير

وطنهم من ربقة الاستعمار الأجنبي.. بيد أن هذه الثورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد «الاستعمار الداخلي» الذى أناخ على مصر بكلكلة فلم يترك لها حولا وطولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها .. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «الين ودنج» عالمة الفيزياء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة وكاد اليأس يستبد بالمصريين جميعا الذى أسموا غير قادرين على اليأس أكثر مما يئسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وطغيا».

وإذا كان - التاريخ - قد سجل أن أول ثورة فى تاريخ الإنسانية قد شب أوارها من مصر عام ٢١٥٠ قبل الميلاد فقد دون أيضا أنها كانت ثورة كما عبر الحكيم الفرعونى «إيبور» أتت على اليابس والأخضر حتى أضحى كل مصرى فى هذا الزمن السحيق يقول «ليتنى كنت ميتا.. على حين جاءت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثورة إنسانية أحييت اليابس وجعلت الأخضر يزاد اخضرارا وأخال أن من فى رسمه ينطق ويقول ليلتى كنت حيا لأشهد هذه الثورة التى جاءت لتعلم العالم - كما عبر رئيس الولايات المتحدة «أوباما»: كيفية تغيير التاريخ بوسائل سليمة .. فلقد غير المصريون تاريخ بلادهم والعالم أجمع.

هنيئا لشباب الثورة.. وهنيئا لمصر بشبابها.. ورحمة الله على شهدائنا.. ولعنة الله على الظالمين.

لقد انخرط أولادى فى صفوف الثائرين فى ميدان التحرير.. وكنت أتوجه إليه آناء الليل وأطراف النهار كى أشهد بنفسى ميلاد الثورة التى كانت لما تزل فى رحم مصر حتى مر على مصر الثمانية عشر يوما التاريخية منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى مساء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ يوم أعلن «عمر سليمان» نائب رئيس الجمهورية المعين حديثا من قبل الرئيس «تنحى محمد حسنى مبارك عن رئاسة مصر وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإدارة شئون البلاد» لحظة تاريخية فارقة لن أنساها من حياتى لقد ولدت الثورة وأصبحت كائننا بشريا حيا يجب علينا جميعا أن نحوطها بالعناية والرعاية حتى تشب عن الطوق ويزكو عودها وتضحى بشرا سويا.

لقد أراد أعداء مصر أن يحرقوها كما أحرق الإنجليز «عذراء اللورين».. «جان دارك» عام ١٤٣١م فاستبدوا بها ظلما وطغيانا حيث كان الاستبداد هو هوايتهم المفضلة فحرموها من نسائم الحرية.

لقد كذبوا على الشعب وأوهموه بأنهم يعملون لصالحه بينما كانوا هم يعلمون لطالعه  
وصدق الشعب كذبهم فالحكمة تقول:

«إن الناس مستعدون لتصديق كذبة سمعوها لألف مرة، أكثر من استعدادهم لتصديق  
حقيقة لم يسمعوها إلا لمرة واحدة منذ عام ١٩٨١ منذ حكم الرئيس السابق والبطالة تنتشر  
في مصر وكذلك التدهور الاقتصادي والتراجع الملحوظ في مستوى التعليم مع انتشار الفساد  
في البلاد انتشار النار في الهشيم».

فضلا عن أن مصر وهى ثانياً أكبر دولة فى أفريقيا من حيث عدد السكان بعد نيجيريا  
وهى أكبر دولة فى الشرق الأوسط أصبحت من أفقر الدول فى العالم بالنسبة لمستوى  
دخل الفرد.

لقد زورت الانتخابات.. وفتحت المعتقلات وزج الأبرياء داخل غياهب السجون.  
وكان من ثالثة الأثافى أنه وفى عام ٢٠٠٤ أبرمت مصر أربعة عقود بموجبها تقوم مصر  
بتصدير الغاز الطبيعى لإسرائيل ويمتد العمل لهذه العقود حتى عام ٢٠٣٠ مما دعا المحكمة  
الإدارية بمصر إلى أن تصدر حكمها ببطلان هذه العقود وطالبت المحكمة الحكومة المصرية  
بإعادة النظر فى أسعار التصدير ولكن الحكومة لم تنفذ ذلك.  
ولقد جادت قريحة الشاعر الفذ الأستاذ «فاروق جويده» بما اعتمل فى قلوب  
الثائرين فقال:

«ارحل كزين العابدين وما نراه أضل منك

ارحل وحزبك فى يديك

ارحل فمصر بشعبها وربوعها تدعو عليك

ارحل فإنى ما أرى فى الوطن فردا واحدا يهفو إليك

لا تنتظر طفلا يتيما بابتسامته البريئة أن يقبل وجنتيك

لا تنتظر أما تطاردها هموم الدهر تطلب ساعديك

لا تنتظر صفحا جميلا فالخراب مع الفساد يرفرفان بمقدميك

إرحل وابنك فى يديك»

ومنذ إعلان شباب الفيس بوك عن ثورتهم على الظلم والطغيان ودعوة الشعب المصرى  
عبر الموقع الاجتماعية على الأنترنت مثل «تويتر ويوتيوت» ونحن جميعا عن بكرة أبينا

نترقب النهاية التي جاشت في خواطرنا، إن رحيل هؤلاء الذين هانت عليهم مصر وأزلوا شعبها طوال عقود ثلاثة حتى أهل علينا يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ - فكان بداية النهاية لهؤلاء الطغاة الظالمين الذين حكموا مصر وكأنها بقرة حلب تدر لهم وليس لغيرهم لبنا سائغا للشاربيين وكانوا هم الشاربون.. وجاء يوم ١١ فبراير ٢٠١١ - يوم الرحيل وقد كنت - آنذاك - أنا وأولادى فى قلب ميدان التحرير نحتفل بنجاح الثورة. ورحيل الجبابرة.. إذ بشاب يوجه حديثه إلى قائلا: «أنا سنقوم بتنظيف الميدان - ميدان التحرير»، فلا تنسى يا حجاج أن تأتى مع أولادك غدا لتنظيف الميدان»؟!.. وهذه هى مصر..

قرأت فى كتاب الأستاذ المفكر الفذ «أنيس منصور» فى كتابه الجميل «وأنا اخترت القراءة» قالوا فى النكت الاقتصادية إن وزير اقتصاد هتلر واسمه هيلمار شاخت (١٩١٧-١٩٧٠) ذهب إلى - لبنان - ويقال إلى مصر لإصلاح السياسة المالية والاقتصادية. وقالوا إن الرجل قرأ وسمع وقيل له وفكر ثم عاد يقول: أنتم لستم فى حاجة إلى أى إصلاح اقتصادى.. أنتم كده كويسين جداً.. وهكذا كانت نظرة عالم إلينا.

وأعود إلى مذكراتى التى أدأب على تسجيلها يوما بيوم منذ سنوات طوال فأنقل منها عبارة عميقة قال فيها صاحبها: «طوبى لمن بادر عمره القصير فعمر به دار المصير، وتهياً لحساب الناقد البصير، قبل فوات القدرة وإعراض النصير».

ومن هنا فإنه من المأمول من هذه الثورة الخالدة التى شحذت الأسماع إلى الإصغاء إلى صوتها صوت الحق حتى إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. الرئيس أوباما.. دعا شعبه إلى أن يتعلم من هذه الثورة السلمية العظيمة.. من المأمول وقد قضت الثورة على النظام الاستبدادى وتعقبت فلوله ووادت صناع الملوك وهو عنوان الكتاب الذى شحذ فكرى وشد نظرى بما خطه مؤلفه «كارل إى. ماير» وقد ترجمته الدكتورة فاطمة نصر.

من المأمول من هذه الثورة أن تعمل على وصل الليل بالنهار بالعمل الجاد القويم المستقيم فى سبيل نهضة مصر.. بزيادة الإنتاج.. وغرس الفضائل والقيم فى المجتمع المصرى.. قيم العدل والأمن والأمانة والرحمة والتسامح والعلم والتفكير واحترام الآخرين والصدقة والانتماء إلى مصريتهم بما يرفع اسم مصر عاليا خفاقا بين أمم العالم.. فهى أقدم حضارة فى التاريخ.. ولا جرم.. أن تتبوأ مكانتها بين العالمين فى أحوال وفى المآل.



ولا كيد على الله لحكم لأنه لن يحكم أحد في ملك الله إلا بمراد الله فإن كان عادلا نفع بعدله وإن كان جائرا ظلما قبحه الله في نفوس كل الناس وأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكما أنصح.. ألا يطلب الحكم، بل أن يكون مطلوباً إليه، فرسول الله قال : «من طلب إلى شئ أعين عليه ومن طلب شيئاً وكل إليه» ثم يمّم وجهه إلى مبارك وأردف قائلاً: «يا سيادة الرئيس آخر ما أحب أن أقوله لك، ولعل هذا يكون آخر لقاء لي بك، إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعنك الله على تحملنا».

وقبلها بسنوات جد قليلة، وقد نما إلى علم الرئيس «أنور السادات» أن الشيخ «المحلاوى» إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية قد أمعن في نقده فأمر السادات بالقبض عليه هو ومن معه من رموز مصر الذين كانوا يعارضون حكمه ويناوؤونه من خلال اتفاقية «كامب ديفيد» والزج بهم جميعاً في غياهب الحب، وفي خطبة له بالتلفاز المصرى قال الرئيس «السادات»: «إنه - أى الشيخ المحلاوى - مرمى زى الكلب فى السجن؟!»، ولم يتوان الشيخ «الشعراوى» عن إرسال برقية «للسادات» قال فيها: «يا سيادة الرئيس إن الأزهر لا يخرج كلاباً، ولكنه يخرج علماء أفاضل ودعاة أمجاداً».

انتقل الشيخ الشعراوى إلى الرفيق الأعلى ومرت السنون بطيئة متثاقلة وتوالت الأيام والنذر تتجمع حتى كونت سحابة سوداء في سماء مصر وهل على مصر يوم الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ فعمت مصر المظاهرات الصاخبة بعد تأجج النيران في الصدور وتجمعت الألوف المؤلفة في ميدان التحرير ميدان العزة والكرامة وأحد الميادين الثلاثة التي دخلت التاريخ بالثورة العارمة التي كانت قد تأججت في القلوب مطالبة «بمبارك» أن يرحل، ورحل حاملاً عصا حكمه على كتفه، بعد أن توسد سدة الحكم في مصر زهاء الثلاثين عاماً، غير مأسوف عليه.

ولم يكن أحد يدري ومنهم كاتب هذه السطور على وجود هذا الكم والكم من الفساد والإفساد في مصر ومع الإرهاسات التي أرهص بها بعض كتاب مصر وأدبائها من أن عهد مبارك في طريقه إلى الزوال إلا أن أحداً لم يكن يصدق ذلك!.

وكان لابد من قارعة! قارعة تُخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت، وأصاب مصر بالقنوط.. فبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاماً حكم مصر بقبضة من حديد.. قبيض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله

إيماننا فانتزعوا كرامة مصر من براثن وحوش ضارية أرادوا ابتلاعها، ومن أيدي طغاة متجبرين لم «يخافوا» ظلما ولا هظما وكانت تجارتهم الرابحة في سوق الحكم وسوق الاستغلال (عملتها من المال وبضاعتها - ومن أسف - من الرجال.. استبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة)، وبزغت ثورة شباب ٢٥ يناير بل ثورة الشعب المصرى بأكمله فنزعت أستارهم وكشفت خبيثتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحييت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.. أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدتها عزيزة الجانب وضاءة الجبين وستظل إن شاء الله هكذا بعد أن عاشت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مرید حتى صعقه الموت المبيد بعدما أن روع الناس بالفتك، والبطش العنيد.

لم تكن هذه الثورة التى بهرت العالم كله بسلميتها ونقاها، وإصرار شبابها على قهر من ظلمهم وافتأتوا على حقوق وطنهم فى الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية التى غابت ردحا طويلا من الزمن مثل الثورات التى عرفتها أوروبا فى القرن الثامن عشر والحركات الليبرالية والقومية فى أوروبا فى ذلك القرن مثل ثورة اليونان والنمسا وألمانيا وإيطاليا وكذلك ثورات أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، وثورة أوكرانيا المعروفة بالثورة البرتقالية عام ٢٠٠٤.

ولم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير - كذلك - كغيرها من ثورات الشباب التى هبت وتهب رياحها على أوروبا وأمريكا بين الحين والحين، ولم تكن كثورة فرنسا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء الأبرياء.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثاروا من أجل تحرير وطنهم من ربة الاستعمار الأجنبى؟، بيد أن هذه الثورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد (الاستعمار الداخلى) الذى أناخ على مصر بكله فلم يترك لها حولا ولا طولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدنا ذاكرتها.. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «إلين ودنج»

عالمة الفيزياء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة» وكاد اليأس أن يستبد بالمصريين جميعا الذين أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما بأسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطفافة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا في أرض مصر نهبا وسلبا وغشا وطفيانا. هنيئا لمصر بثورتها.. ورحمة الله على شهدائنا الأبرار الذين وهبوا حياتهم فداء لبلادهم.. ونصرة لوطنهم.



## جلال القضاء ..

القصة تبدأ عندما دخل أستاذ جامعي ليحاضر تلاميذه في إحدى الكليات، كعادته. وإذا بهم يرونه وقد ترك موضوع الدرس ضاربا به صفحا ليهاجم مقالا قرأه في إحدى الصحف يشكو فيه كاتبه من تأخر الفصل في القضايا، فأهاب الأستاذ بوزارة العدل أن تعمل على تدارك ذلك بزيادة عدد رجال القضاء.. ثم يهاجم القضاة أنفسهم!!.. فهل يصح هذا من أستاذ جامعي جدير به أن ينصرف إلى عمله وألا يتعدى حدود مهنته؟!..

إن قضاء مصر هو الدرع الواقي لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها وإن مصر تزهو به على العالمين.

وأين ما قاله هذا الأستاذ الجامعي من القول القائل: «فتش عن الرجل تحت وسام الدولة فلن يصنع الوسام منه قاضيا ما لم يكن يحمل بين جنبيه نفس القاضى وعزة القاضى وكرامة القاضى وغضبة القاضى للحق دائما؟».

إن قضاتنا من خيرة قضاة الأرض فى أنفتهم وعزتهم وزهدهم فى الحياة الدنيا، ولعل الأستاذ الجامعي يهدئ من فائرتة إذا علم رأى بعض كبار الأساتذة الأجانب فى قضاتنا، وقد رأوهم عن كئيب، بعيدا عن التهويل والتهليل.. ونحن نهدي إليه كلمة قالها زميل له بإحدى جامعات روما وهو الدكتور «بيرو كالنذارى» عميد إحدى الكليات هناك:

«ألا ما أشبه القاضى «المصرى» بالعامل فى مناجم الماس حين يقوده عمله إلى فرص الثراء الفاحش فلا تمتد يده إلى ما تستطيع قطعة صغيرة منه أن تؤمن حياته وحياة أسرته.. ولكنه يفتح بأداء واجبه وراحة ضميره. فتمسك اليد الخشنة التى كانت تلعب بالماس لعبا قطعة الخبز الجاف تدفع بها غائلة الجوع راضية هائنة..».

ترى.. من هذا الأستاذ الجامعي؟!..



## وجيش مصر العظيم .. كذلك يستحقها ..؟!

الثورة المصرية حققت أملا مصريةا .. وأصبحت رمزا قوميا عربيا .. وأضححت نبراسا عالميا، فثورة ٢٥ يناير أول ثورة في العالم لا تحمل المدافع والرشاشات وإنما تتقدمها حرصا على أمنها وسلامتها الدبابات .. تعقبت عهدا ظلما حتى باد .. فأصبحت مصر في يد شعبها بعد أن كانت في قبضة كل من هب ودب .. ملكا مباحا مستباحا يغترف من خيراتها ذوى الذمة الخربة من الخائنين .. فمافتئى الكل في حق الحياة سواء وتعانق الهلال مع الصليب في مودة وإخاء .. ويممت شعوب الأرض من كل البقاع والأصقاع نظرها إليها بكل تقدير وإعجاب .. بعد أن صحا المارد من نومته .. تهابه الحراب؟! .

كان جيشها الوطني العظيم سياجها، وضباطه وجنوده أمنها، يدفع عنها كل ذى خطر. يزود عن حماها.. ويقف بالمرصاد لمن عداها.. بعقد بينه وبين الشعب وعهد بينه وبين الله، فحال بين العزل من الأبرياء وداس بقدمه على (الدوجما) الهمج الأغبياء الذين تسلحوا بسلاح الغدر والخيانة بخيولهم وجمالهم منكرين إيانا بعصر الجاهلية فى محاولة يائسة منهم لوقف مد شباب الثورة ووئدها فى مهدها - ولكن هيهات هيهات! .. فلقد وقف جيش مصر كالجبل الأشم يحتضن الثورة فى عينيه .. وشاء الله أن يُمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين .. بعد أن تحقق وعد الله العلى الناصر لكل مظلوم بأنه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج - الآية ٣٩].

إن هذا الجيش الباسل النبيل وعلى رأسه مجلسه الأعلى وقائده المشير «محمد حسين طنطاوى» لن ينسى له التاريخ إنه ذهب إلى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك وقال له: «إننى بمثابة ابنك.. تمنح حقنا للدماء.. وتنحى الرئيس».

وهكذا كان الجيش المصرى على مر العصور والدهور جيشا وطنيا أبيا يصون الديار ويحمى الزمار.. فهل ينسى التاريخ اليوم التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ عندما تصدى للخدियो الخائن توفيق الذى تحالف مع الإنجليز ضد مصر فجأر فى وجهه القبيح جيش مصر وعلى رأسه الزعيم «أحمد عرابى» صارخا فى وجهه: «لقد خلقنا الله أحرارا ولم نخلق

تراثا ولا عقارا.. فو الله الذى لا إله إلا هو إننا لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».. واعتبر المؤرخون هذا اليوم أعظم يوم فى تاريخ القومية المصرية.. ولم يكن جيش مصر الوطنى الآن - إلا معبرا عن تاريخه العريق الضارب فى القدم.. فلطالما رفع راية الحق منحاذا للشعب مثبتا أنه ليس ملكا لأحد وإنما هو ملك للشعب وحده. فلن يسمح التاريخ بتكرار مثل هذا المرسوم الذى نشرته الدليل المصرى [Moniteur Egiptien] والذى اتخذته الخديو محمد توفيق بحل الجيش المصرى عقابا له على تضامنه مع الزعيم أحمد عرابى كذلك لن يكرر التاريخ وجود مثل الخائن محمد سلطان باشا الذى اغتال الجيش المصرى بموقفه الوطنى خلال الثورة العرابية، والذى تحالف مع الإنجليز ضد وطنه وسمح له بولوج البلاد. حتى حياه المؤرخون وكتب عنه الكاتبون يتبارون فى تمجيده والإشادة به.

يقول «سريو» فى كتابه مصر الحديثة إن كفاءة الجندى المصرى وما اشتهر به من الثبات والشجاعة قد قامت عليه حضارة مصر.. ويقول المرشال «مارمون»: إن الجندى المصرى له حظ عظيم من المقدرة تبلغ درجة النبوغ.. ويقول البارون «موالكتونب»: إن المصريين هم خير من رأيتهم من الجنود..

لقد رشح الرئيس النمساوى «هاينز فيشر» المصريين لنيل جائزة نوبل للسلام قائلا: إنهم أروع شعب على الأرض ويستحقون جائزة نوبل للسلام.. وكما قرأنا فى جريدة «المصرى اليوم» ونحن نضيف والجيش المصرى أيضا يستحق هذه الجائزة فلقد حمى ثورة الخامس والعشرين من يناير، فاستتب لمصر وللعالم كله السلام بحسبان أن مصر هى (بؤرة العالم). حماها.. ليس بالبأس والصولجان.. ولكن بوطنيته الصادقة وقوة الإيمان.



## حق الجار على جاره ..

حق الجار حق مقدس حرصت عليه جميع الأديان سواء الأديان الكتابية أو غير الكتابية.

ففى «مصر القديمة أو العتيقة» نقرأ فى أدب القراعنة لأحد الحكماء فى وصية له لإبنه «حافظ على جارك، وعامله كأخ لك» إن كان جائعا فاعطه له من خبزك وأطعمه من طعامك، وإن كان مريضا، فعدّه، وإن غاب فاسئله عنه، وإن حقد عليك فاجلس على حفة النهر حتى يأتى لك التيار بجثته!

وفى الأدب الصينى نقرأ: «عامل جارك بأدب» .. ثم نقرأ أيضا: «إن كان جارك سيئا فاصبر عليه حتى يرحل».

وفى الديانة «البوذية التى بشر بها [البوذا جوتاما] قبل ميلاد السيد المسيح - عليه السلام، بحوالى خمسة قرون دعت البوذية إلى التوسط فى أمور الحياة الثمانية»، وهى: «الفهم، والعزم، والكلام، والسلوك، والمعيشة، والعمل، والتأمل، والفرح».. والمقصود بالفرح هنا هو «الفرح الصادق» الذى يتاح للإنسان فيبلغ به الملكوت.. ويدخل فيه فرح الإنسان «لجاره».. كما يفرح لنفسه.

وجاءت الديانة الفارسية التى علم فيها الفيلسوف (زرادشت) الناس حب الخير. وجعل الخير المحض من صفات الله، وبشر بالثواب، وأذنب بالعقاب ودعا إلى محبة الناس بعضهم لبعض ومنها حب الجار لجاره والصديق لصديقه ومن المأثور عنه قوله: «رب! هب لى عونك، كما يعين الصديق أخلص صديق».

أما «الحضارة البابلية» التى هى من أقدم الحضارات فحرمت الاعتداء على الأخ أو الصديق أو الجار.. «من اجتزأ على فعل المحرم.. تجزيه الآلهة، على ذنبه بالوبال.. والمرض العضال.. فإن لم يكن جزاؤه مرضا فهو خسارة فى المال أو البنين»، وهكذا كانت أيضا الثقافة اليونانية وفلاسفتها العظام سقراط وأفلاطون وأرسطو الذين دعوا إلى محبة الخلق كل الخلق بعضهم لبعض.

ونزلت الديانة اليهودية لتدعو كما قال (هوشع النبى) .تدعو إلى الحب ومنها حب الجار.. «لأن خلائق العدل والحق والإحسان والمراحم هى خلائق الأبرار».

وبشّر «السيد المسيح» - عليه السلام - بالديانة المسيحية التي قامت على الحب فآله محبة.. ومن يحب الله يحب الناس جميعاً ومن أقواله - عليه السلام - سمعتم أنه قيل: «تحبُّ قريبك وتبغضُ غَدُوكَ. وأما أنا فأقول لكم أَحِبُّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضِيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناءً أبيكم الذى فى السماوات. فإنه يشرق شمسُه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم. أليس العَشَّارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلَّمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون. أليس العَشَّارون أيضاً يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل».

محبة الإنسان لأخيه الإنسان ومنها بالقطع حب الجار.. فالطهر.. كل الطهر فى نقاء الضمير.. فمناط الغير كله فيه، ومرجع اليقين كله إليه «فليس شئ من خارج الإنسان يدنسه بل ما يخرج من الإنسان هو الذى يدنس الإنسان».. فإذا بذلت الصدقة لأخيك أو لصديقك أو لجارك فلا تتباهى بالإحسان.. «فأبوك الذى يراك فى الخفاء يجزيك فى العلانية».

وأشرقت شمس الإسلام وجاءت آيات الله البينات لتوضح وتؤكد ذلك.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سَبِيحًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٣٦].

فى هذه الآية الكريمة، بين الله - سبحانه وتعالى - أنواع الجيران فهناك جار قريب.. من ذوى القربى. وهناك جار ملاصق فى السكن، وهناك الجار المؤقت وهو المصاحب فى الطريق. وأوجب الإسلام الإحسان إلى الجميع.

وقد أكدت الآية الكريمة فى نهايتها أن الإساءة وعدم الإحسان إلى الجار لا يصدر إلا من إنسان مختال كفور، قد امتلأ قلبه بالاعتلاء والكبر.

وها هو ذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يحذر من إيذاء الجار فقال - صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن».

قيل: من يا رسول الله؟.. قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه».

وقد جاء رجل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم -، وقال: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتهها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال - صلى الله

عليه وسلم: «هي في النار. فالإسلام دين الإنسانية قد أوجب عليها الإحسان حتى إلى الجار الغير مسلم. فالمسلم من سلم من الناس من لسانه ويده».

وأوصى الإسلام بالجار وقنن حقوقه بما يدل على قداسة حق الجار في الإسلام. وكيف لا؟ وهو العصا التي يتوكأ عليها.. وهو نجدته عند الشدة وأقرب الأقربين له عند الحاجة، وعونه عند الخطوب. فالإنسان عبد الإحسان.. قال الشاعر: «لطالما استعبد الإنسان إحسان»، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام، «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها».

من نافلة القول أن نقول إن السلف الصالح دأب على إكرام الجار والمحافظة عليه فكان لا يشبع إلا إذا شبع جاره ولا يسكن إلا إذا سكن، كما كان يعود جاره إذا اعتوره مرض ويسأل عنه إذا غاب، وإذا نزلت به التوازل أعانه على نوازله، واحترم عواطفه، فلا يفرح إذا كان حزينا ولا يكتسى إن كان عريانا، وإلا كساه. ولذا كان الرجل العربي يتباهى بأن جاره عزيز بعزته، وغنى بثروته.

وفى الأثر ورد «ما زرنا أنا قليل وجارنا: عزيز، وجار الأكثرين، ذليل». كان العرب الأقدمون، يتباهون بأن إكرام الجار من المفاخر العظيمة والمآثر المجيدة، وقد سجل التاريخ أن الحارث بن عمرو نزلت به نازلة من نوازل الدهر ومصيبة من مصائب الأيام أضطر معها أن يبيع داره ليسدد ما عليه من ديون.. فقال له المشتري: إن دارك لا تساوي أكثر من خمسين دينارا. فقال له الحارث: وبكم تشتري جوار سعيد بن العاص؟! فقال المشتري: والله ما رأيت قبل اليوم جوارا يباع، ومن هو سعيد هذا الذى تتبع جواره؟. أجابه الحارث: ذلك الذى إذا مرضت عادانى وإذا سألته أعطانى وإن أعسرت مد لى يد المعونة. يُعيذنى فى النوائب ويساعدنى فى المصائب ويواسينى فى الهموم والأحزان. ولما وصل الخبر إلى «سعيد»، جاء مسرعا، والحديث لما يزل قائما - بين المشتري، والحارث فقال للحارث: أمسك عليك جارك ولا تبع دارك، بقليل أو كثير، وكل ما عليك من دين، أو حوائج، فهو لى، وعلى. وهكذا كانت النخوة العربية الإسلامية.

ومن هنا جاءت الحكمة: «خذ الجار قبل الدار».

ونُقلت إلينا المأثورة: «خذ الرفيق قبل الطريق».

قد قال عليه الصلاة والسلام: «اتق المحارم تكن عبد الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمنا».

وقد جاء رجل إلى الرسول - عليه السلام - يشكو إليه من سوء خلق جاره، ومعاملته. فقال له النبي: اذهب وأخرج متاعك وبعثره على قارعة الطريق، فإذا سألك الناس لماذا أخرجت متاعك من دارك، وألقيته هكذا، فقل لهم: إن لي جارا يؤذيني. ففعل الرجل ما أمره به الرسول، فلعن كل ماشٍ ذلك الجار، وما يزال الناس يلعنونه حتى ذهب هذا الجار إلى الرسول، معتذرا لجاره.

وقد حرص الرسول - عليه الصلاة والسلام - على حقوق الجار فقال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من بات شبعانا وجاره يتضور جوعا، وهو يعلم». وقال أيضا: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره. وقال أيضا: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه، وخير الجيران عند الله، خيرهم لجاره».

وقد بين الرسول أن الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو الجار المشرك، وجاره له حقان وهو الجار المسلم ذو الرحم.

ثم تعالوا معي لتمعن النظر، ونمعن الفكر في هذا الحديث الشريف الذي جاء بمثابة مذكرة تفسيره - بلغة أهل القانون - حينما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أتعلمون ماحق الجار؟.. قالوا وما حق الجار يارسول الله؟ فأجاب عليه السلام.

«ان استعاث بك أغثته.. وإن استقرضك أقرضته.. وإن مرض عدته.. وإن مات شيعة جنازته.. وإن أصابه خير هنأته.. وإن أصابته مصيبة عزيزته.. ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجز عنه الريح، الإبازنه.. وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذنه».

وهاهو ذا التاريخ يسجل في أنصع صفحاته كيف حرص المسلمون الصالحون على إحترام الجار وصون حقوقه. فقد جاء أحدهما يشكو إلى أخيه كثرة الفئران. فقال له: لو اقتنيت - هذا - وأشار إلى قط - لتقضى عليها. فرد عليه قائلا: أخشى أن يسمع الفأر صوت القط فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أسأت إليهم؟!.

وقد روى أن الإمام أبا حنيفة كان له جار يُصلح الأحذية ببيت الليل يعاقر بنت الحان «الخمرة» ثم يدق الأحذية ويغني بصوت عال كرية..

وكان الإمام أبو حنيفة يصبر على هذا الأذى، ويتحمل سلوك جاره سئى الخلق، وفي يوم ما قبض العسس على هذا الرجل وسيق إلى غياهب الجب، ولما افتقد الإمام أبو حنيفة

صوته سأل عنه ، فعلم ما حدث له .. فما كان منه إلا أن ذهب إلى الأمير وتشفع له عنده . حتى أخرجه من السجن ، وأخذ الإمام بيده . فخجل الرجل أشد الخجل . وتاب على يد الإمام . وحسن إسلامه وصح حاله .

ومن مفاخر ما حكى عنه التاريخ في حسن معاملة المسلم لجاره ما حكى عن ابن عمر رضى الله عنهما إذ كان له جار يهودى فكان إذا ذبح الشاه يقول : احملوا إلى جارنا اليهودى منها .

وقد ورد فى المأثورات أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول . يارب سأل هذا ، لما منعتى معروفه وأغلق عنى بابه . وفى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد سأله رجل ، دننى على عمل يا رسول الله إذا عملت به دخلت الجنة فقال عليه الصلاة والسلام : «كن محسناً» . فقال الرسول . وكيف أعرف أنى محسن؟ فأجابته : سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن ، وإن قالوا إنك مسيئ فأنت مسيء» .

وقد جاء فى الطبرانى من حديث المقداد بن الأسود «لأن يسرق الرجل من عشرة بيوت . أيسر من أن يسرق من بيت جاره ، ولأن يزنى بعشرة نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره» .

ومما يحكى عن حسن معاملة الجار . ما روى من أن سهل بن عبد الله التستري كان له جار مجوسى . وكانت القاذورات تسقط من فوق هذا الجار المجوسى فى دار سهل بن عبد الله ، فكان سهل رضى الله عنه يجمع تلك القاذورات فى مكتل عنده ، كل يوم ، ويلقيها بعيدا ، دون أن يعاتبه . ولما حانت منية «سهل» استدعى جاره المجوسى وذلك بعد أن أبصر جاره المكتل المليئ بقاذوراته فسأله : ماهذا؟ قال له : هذا مايسقط من دارك على وأنا أتلقاه بالنهار وأجمعه ليلا ، ولولا أنه قد واتانى أجلى . وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق لغيرى . فيؤذيك ، ما استدعيتك فما كان من جاره إلا أن قال له : أيها الشيخ أنت تعاملنى هذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفرى .. مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله .

هذا هو حق الجار فى الإسلام . حق مقدس تأثر به القاصى والدانى ، وتأثر به الأدب الشعبى حتى نطقت به الأمثال التى جاء فيها :  
اختار الجار قبل الدار .

النبي وصى على سابع جار.  
إن كان جارك في خير افرح له.  
أطلب لجارك الخير. إن مانلت منه. تكتفى شره.  
«الجار أولى بالشفعة» «مبدأ قانوني معمول به كحق الإرث».  
الجار جار. وإن جار.  
جارك قدامك ووراك، إن ماشاف وشك يشوف قفاك؟! .  
قبل ما أقول يا أهلي يكون جيرانى غاتونى.  
ريك وجارك أعلم بحالك.  
لولا جارتى لانفقت مرارتى.  
من جاور السعيد يسعد.  
غير من جارك ولا تحسده.  
يا جار الدهر، احزن لى شهر.  
الجار للجار ستر وغطا.

وهل ثمة أعظم حديثاً.. من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال: «ظل جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وهكذا يثبت الإسلام أنه دين المبادئ.. وأنه دين الحق.

فمحببة الجار لجاره أمر إلهى، وسنة شريفة يجب أن نحرص عليها كل الحرص. وأن نعص عليها بالنواجز.



## من قاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما..

غاص المصريون بخيالهم إلى أغوار الماضي وهم ينصتون بقلوبهم إلى الرئيس أوباما وتعلقت به عقولهم وسرحت معه من خلال خطابه الصافي الضافي، الذى وجهه من خلال منبر جامعة القاهرة إليهم وإلى العالم الإسلامى بل إلى قاطنى المعمورة فى شتى البقاع والأصقاع ومس شغاف قلوب المسلمين استشهاده الصائب بآيات من القرآن الكريم تدعو إلى التسامح وإلى قبول الآخر وإلى العيش فى سلام ووثام.

وفى مثل هذا الشهر يونيو عام ١٩٦٣ قال الرئيس كيندى.. وهو بصدد مخاطبته للشعب الأمريكى: «إننا نواجه مشكلة أخلاقية قديمة قدم الكتاب المقدس وواضحة وضوح الدستور الأمريكى.. ألا وهى الاعتراف بحقوق الآخرين..».

كان كيندى يقصد بكلمته هذه محاربة العنصرية التى ضربت جنبات البيت الأمريكى وباتت تتهدد الأمة الأمريكية فى صميمها وفى سويداء قلبها؟!.

ويقص علينا «مارتن لوثر كينج» الشهيد الزنجى الأمريكى الذى اغتيل على يد الرجل الأبيض لقاء دفاعه عن حقوق السود - فى أمريكا الذين جلبوا إلى أمريكا من القارة الأفريقية كعبيد أرقاء حيث كان الإنسان يباع ويشترى، كما يعامل الحيوان؟! وفى ظلمة الليل البهيم.

ولعل قصة كفاح الزنوج فى أمريكا لن تطوى من كتب التاريخ، ولا من مدونات الفكر، فقد عاش الزنوج تحت ربة إحتلال البيض لهم، وتكبيلم فى إسار الظلم مستعبدين إياهم، بحيل الداهية، وبقوة الطاغية الذى صدر فى غيه، يتفنن أثناء الليل وأطراف النهار فى إذابة كل زنجى العذابات ألوانا، ومن صنوف الذل والمهانة وصالا، فكان محظورا عليه أن يتعلم القراءة والكتابة بمقتضى قانون جائر ثابت فى السجلات الرسمية والحكومية، وكان الزنجى إذا شك أو تألم فالعقاب الوبيل له يتراوح بين التشويه الجسمانى إلى حد القتل حتى بات كل زنجى يتمنى ألا يقوم من سباته؟ فمنذ لحظة مولده فى المستشفيات المتدنية والمقصورة على السود دون سواهم ينتهى به المطاف إلى مقابر السود.. وما فتىء العنصرى الأبيض يردد مؤكداً أن الزنجى أى زنجى راضٍ عن حياته، ومصيره. فليس فى الإمكان أبدع مما كان؟!.

وطبق الزنوج يبحثون كيف السبيل إلى الخروج من هذا النفق المظلم .. فالجميع «أذن طين وأخرى من عجيين»؟! .. فلا أحد يجيب أو يستجيب؟! .

وما إن أهل صيف عام ١٩٦٣ حتى كان الزنوج قد جيشوا جيوشهم ونظموا صفوفهم ومضوا قدما تحت لواء النضال السلمى للمجاهرة بحقوقهم ، وكان من بينهم - آنذاك - العاجز، والمشوه، والضرير، فأضحت السلطات الأمريكية - وعلى حد تعبير «لوثر كنج» أشبه ما تكون بالسجين الهارب الذى وقع تحت شعاع نور كاشف بل وفاض - أيضا مما فت فى عضد هاتيك السلطات التى أصبحت حبيسة أمام هذا النور الذى كشف الحقيقة العارية أمام أنظار العالم كله .

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية ما اشرأبت قامتها وسمقت هامتها إلا بفضل هؤلاء الزنوج الذين كانوا يعملون فى شتى المناحى ومختلف الأعمال التى تنوء بها كواهل البيض .

سيادة الرئيس الأمريكى : يتوجه إليكم قاضٍ مصرى وأنت خريج الحقوق من جامعة هارفرد أعرق الجامعات فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد درستم القانون ، وأصبح يسرى كأي دارس له فى دمائه وأفكاره أن تعمل بما درست وأن تحق الحق فالقانون إنما وضع لكى يفرق بين الغث والثمين ويمحص الحق من الباطل ويعطى لكل ذى حق حقه ، وأن تعمل جاهدا ومخلصا على أن تيمم وجهك شطر الأرض المغصوبة من الفلسطينيين وأن تجاهد فى سبيل عودة الديار المسلوبة إلى ذويها وأهلها .

فإن المهمة التى ألقاها الله على كاهلك هى أن تعمل فى سبيل إنصاف الفلسطينيين من الصهاينة المتجبرين والذين عاثوا فى أرضهم السلبية فسادا وإفسادا ضاربين كل المبادئ والقيم التى قننتها المبادئ الخلقية للمسيحية والإسلام .  
وسلام الله عليك .

